الروابط الأسمية ودورها في البناء

عصام عبدالله محمد

عبدالرحيم سفيان

المستخلص:

إن معظم الدراسات السابقة لم تفرد للروابط مساحة خاصة بها لدراستها إلا ضمن ما تنضوي إليه من أقسام و مباحث علم النحو، لذلك تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسهيلاً لطلب العلم، فإذا علمنا أن الروابط منها ما هو حرفي و منها الاسمي فإن هذه الدراسة تجيب عن سؤال، ما دور الروابط الاسمية في الربط؟ و أوجه التلاقي و الاختلاف؟ و ما أثر ذلك على البناء سواء كان البناء يختص بتركيب الجملة أو بناء الكلام عامة، أو القصة واتبعت الدراسة المنهج المتبع التحليلي الوصفي و من ثم الاستنتاج. فبالنظر إلى سورة محمد و يوسف نجد هناك معنى عام تتبعه معان أخرى ربط بين أجزائها في نسق واحد روابط منها الضمير و الإشارة و الموصول تمثل حدود الدراسة. فالنص الأول يمثل المجرد أمّا الثاني في سياقه القصصي .

و خلصت إلى نتائج منها إن أكثر الروابط الاسمية تكراراً هي الضمائر و أسماء الموصول غير أننا لا نحس بتكرارها لأن اسم الموصول يختلف معناه باختلاف جملة الصلة و كذا الضمير العائد يختلف باختلاف جملة الصلة فالعلاقة بين الضمير و اسم الموصول علاقة معنى و ربط يؤديان دور واحد هو المعنى بمرونة تتوافق مع أي موقف فهي روح المعنى.

الكلمات المفتاحية: الروابط الاسمية – تركيب الجملة – بناء الكلام.

ABSTRACT

Most of the previous studies did not give a particular space to the connectors to study them but only with sections and chapters in the science of grammar. Thus here comes the importance of this study as facilitating way and if we know that connectors are literal and nominal , so that this study can answer the raising question, what is the role of nominal connectors in linking? And what are the differences and similarities and what is the impact on the structure or speech generally or it is for study or for analytical and descriptive approaches and then the consequences.

So that each element in the structure of the text represents parts in constructions of significance whether it is vocal, derivation or grammar (Hamasa Mohaaed-2005) Taking surah Yousif and surah Mohammed as examples we find there are a lot of meaning followed by other meanings connecting their parts with connectors find system way such as pronouns limit of the study so that the first text represent the abstract and the second represent the narrative context.

The study has come with the following outcomes for example the most repeated connectors are the nominal connection are pronouns and relative pronouns. but we do not feel that because their meaning differs according to relative clause and thus

the returning pronoun is different to relative clause, the interrelation between the pronoun and the relative clause is a relation of meaning and linking because they perform the same role and that is the meaning in harmony.

المقدمة:

إن للقران أسلوب متفرد في مخاطبة النفس البشرية و التأثير فيها بتلك الحروف و التراكيب، فنجد فيه التسلسل المعنوي كما نجد التناسب في الانتقال من غرض إلى غرض فليس الغرض بنظم الكلم أن تتوالى ألفاظها في النطق بل هو تناسق دلالتها و تلاقي معانيها. و يرجع الفضل في صحة النظم إلى علم النحو و أحكامه في تراكيب الجملة ثم ربطها بجمل أخرى تنوعت بين الجمل الاسمية و الفعلية بحسب الأغراض و المقاصد.

إن أول نظم، ذلك النظام الصوتي الذي قسمت فيه الكلمة إلى حركة و سكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه. ثم تتدرج هذه الكلمة في تراكيب مع ألفاظ أخرى منسجمة على قواعد محكمة لا تنافر بينها، ثم انتظام هذه التراكيب على نظام ربط فريد لتأدية المعاني فالضرورة توجب وجود رابط.

يقسم علماء المعاني الجمل إلى قسمين، جمل رئيسة و هي الجمل المستقلة القائمة بنفسها و لم تكن قيداً في جملة أخرى، و هذا النوع لا يحتاج إلى رابط لفظي، فإنها ترتبط رباطاً معنوياً بما جاورها من الجمل بسبب منها، أو مفسرة لها، أو مؤكدة و تشمل الجملة المستأنفة و هي الجملة التي تتصدر الكلام، سواءًكانت مسبوقة بكلام و قد انتهى، أو لم يسبقها نحو: الحمد لله ، و الجمل الحوارية و هي ما كانت في حوار قصصي أو إجابة لسؤال، و الجمل المعترضة و هي الجملة التي تعترض كلاماً تسديداً أو تحسيناً له، و الجملة المفسرة و هي التي تفسر كلمة مفردة أو جملة سابقة لها.

أما النوع الثاني جمل غير رئيسة و هي الجمل غير المستقلة بنفسها، بل تكون قيداً في جملة أخرى كجملة الخبر و الحال و النعت و جملة الصلة و التي تتبع الاسم الموصول فلا تستقل عنه أبداً، فإن الجمل اللاحقة رغم أنها خاضعة للجملة السابقة و مرتبطة بها رباطاً معنوياً، إلا أنها تحتاج إلى رابط لفظي يربطها بها. فالرابط سواء كان معنوياً أو لفظياً فلا بّد أن يخضع لعلم النحو و يعمل على قوانينه كما أشار إلى ذلك عبد لقاهر الجرجاني (و النظر إلى الجمل التي تسرد، فيعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، و موضع الفاء من موضع ثم، و موضع (أو) من موضع (أم) و موضع (لكن) من موضع (بل))[2](الجرجاني- بدون). حتى يندرج الكلام في بناء واحد يحتاج إلى روابط ذات مزية خاصة لموضع معين لا يستغنى بغيره في ذلك الموضع. فإن لكل رابط دلالة معينة و خاصية ينفرد بها عند استعماله تزيد الكلام معنى و ترابطاً.

فقد حصر النحاة أداة الربط في الحروف، غير أن هناك أدوات ربط أسماء و كل أداة تختلف وظيفتها عن الأخرى.و أن أكثر الروابط الاسمية انتشاراً الضمائر و أسماء الموصول،فالعلاقة بين الضمائر و اسم الموصول علاقة معنى و ربط يؤديان دوراً واحداً هو المعنى بمرونة تتوافق مع أي موقف.فما وجه التشابه و الاختلاف بينها و الروابط الحرفية؟

الربط بالحروف:

و تشمل حروف العطف و الجر و غيرها، فالعطف في اصطلاح علماء النحو هو أن يدخل الثاني في عمل الأول و مشاركته له في الحكم، سواء كان العطف عطف كلمات أو جمل. و عند البلاغيين ما يعرف بالوصل، فإن هذه اللفظة يشترك في دلالتها البلاغيون و النحويون و اللغويون في أنها تقوم بدور الربط بين شيئين دون أن تترك أثرا إعرابياً تعين غيرها في العمل نحو: جاء محمد و أحمد، فالعامل في أحمد ليس الواو و إنما هو الفعل (جاء) فأحمد شارك محمد في المجيء.

فأدوات العطف كرابط تتفق في الوظيفة السابقة، غير أن اختلافها في دلالة كل حرف و معناه الذي يميزه عن غيره كالواو التي تدل على مطلق التشريك، فإنها تقتصر دلالتها عليه بينما الحروف الأخرى لها معاني أخرى تزيد على التشريك كالترتيب مع التعقيب في الفاء، و الترتيب مع التراخي في ثم، و التخيير في (أو) و هو تردد الفعل بين شيئين و نجعله لأحد. و هناك (لا– أم – بل) العاطفة و (لكن) المخففة.

الملاحظ أن الواو و الفاء من الحروف الرابطة للجمل و المفرد، و أنها أكثر وروداً و استخداماً في الكلام، و لعل ذلك يعود لما يمتاز به هذان الحرفان من خصائص صوتية يسهل معها النطق بهما، مع أداء وظيفة الربط على وجه أكمل. لهذا نجد الواو العاطفة ، واو المعية ، واو الحال ، واو المفعول معه ، الواو الجارة، و كذلك الفاء العاطفة ، الفاء السببية ، و الفاء الرابطة لجواب الشرط.

أمّا حروف الجر فإنها تتوسط بين الفعل و الاسم يتعدى الفعل بها إلى مفعوله الذي لا يتعدى إليه بنفسه نحو: ذهبت إلى السوق، و جلست على المقعد.

فالجمل السابقة اكتمل معناها بوجود الركنين الأساسيين،غير أنها ناقصة الدلالة على المعنى الذي يرمي إليه المتكلم، فلا يعرف إلى أين كان الذهاب؟ و على أيّ شيء كان الجلوس؟ و لكن بوصول الفعل إلى مفعوله بحرف الجر قيد المعنى و هي كثيرة منها العام و منها الخاص الذي يعمل بشروط يشملها ابن مالك في قوله :

هاك حروف الجر و هي من إلى حتى، خلا، حاشا، عدا ، في عن ، على

مذ، منذ، ربّ ، اللام، كي ، واو تاء و الكاف و الباء و لعل و متى[3](**ابن عقيل–1354ه– تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد**).

فالمستعمل من حرف الجر العام أربعة عشر حرفاً هي: اللام، التاء، الباء، الواو، الكاف، من ، عن ، مذ، في ، على ، إلى، ربّ ومنذ، و يشترط في (حتى) أن يقع بعدها اسم، فإن وقع بعدها فعل، فالمجرور بها هو المصدر المؤول.

نحو قوله تعالى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}{محمد الآية31}

فالفعل (نعلمَ) منصوب بأن المصدرية المقدرة بعد (حتى)، فأن المصدرية و صلتها مصدر مؤول في محل جر.

أما خلا و حاشا و عدا فإنها تستعمل حروف جر للاستثناء بشرط أن يأتي الاسم بعدها مجروراً و لم تسبقها (ما) نحو: حضر الطلاب عدا خالدٍ.

و هناك نوع من الروابط الحرفية يتعلق بمجموع الجملة كتعلق حرف النفي و الاستفهام و الشرط و الجزاء بما يدخل عليه و ذلك أن هذه المعاني تتناول ما نتناوله بالتقييد، و بعد أن يسند إلى شيء.فلو قلت: ما خرج خالد، لم يكن النفي الواقعبها متناولاً الخروج على الإطلاق بل الخروج واقعاً من خالد و مسنداً إليهفالربط بمجموع الجملة)[4](**الغلاييني– 2006**).

فإذا أمعناالنظر في حروف العطف و حروف الجر و غيرها من الحروف الأخرى التي تتعلق بمجموع الجملة نجد أن الربط بها على نحو من طريقتين:

طريقة يكون الربط فيها بربط الثاني بالأول،بمشاركته له في الحكم لفظاً و معنىً، و ذلك في حروف العطف.و طريقة يكون الربط فيها بوصل الأول بالثاني بتعديته إليه،أو بسبب منه أو بتكملة معناه و ذلك في حروف الجر و الاستفهام و الشرط و غيرها.

فكل حرف من الحروف السابقة يدل على معنى خاص به يضاف إلى المعنى العام مع القيام بدور الربط غير أن الربط بها يكون على نطاق محدود لا يتجاوز الجملة الواحدة أو العبارة و أن هذه الحروف تتنوع و يكثر عددها دون تكرار ذلك و هذا ما يتطلبه نسق الكلام.

الروابط الاسمية :

هناك أدوات ربط اسميةتقوم بربط أجزاء الكلام في الجملة الواحدة أو الجمل المتعددة منها أسماء الموصول. فأنها (اجتلبت لتكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل نحو: مررت بزيد الذي أبوه منطلق. فقد توصل بالذي إلى إبانة زيد من غيره بالجملة التي هي (أبوه منطلق) و لولا الذي لما توصلت إلى ذلك)[2](الجرجاني–بدون). فالموصول الاسمي هو ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية اسمية أو فعلية أو شبه جملة)[5](**مجموعة مؤلفين–1972**)و هو نوعان، نوع خاص و يقصد بها أسماء الموصول التي تفرد و تثنى و تجمع كـــ (الذي – التي– اللذان – اللتان – الذين – اللائي). و نوع مشترك و هو اسم الموصول الذي يكون بلفظ واحد للجميع فيشترك فيها المفرد و المثنى و الجمع مذكراً كان أو مؤنثاً نحو (من – ما– ذا – أي– ذو).

ذلك أن هناك معارف التحديد بها غير واضح المعالم يعتريه نوع من الغموض، و لإزالة هذا الغموض يؤتى بالذي، فجملة الصلة ذات مهمة معنوية خالصة هي بيان و تحديد المقصود من اسم الموصول فالمخاطب ليس له علم بالأحوال المختصة بالاسم سوى صلته. الذي بدوره يحدد معالم ما قبله. و كذا ، ذو، فإنها اجتلبت ليتوصل بها إلى الوصف بأسماء الأجناس نحو مررت برجل ذي مال، فقد بينت الرجل من غيره بالمال.

ومن أدوات الربط الاسمية أسماء الإشارة التي تعيّن مسماها بواسطة إشارة حسية لا من تلقاء نفسها. فلابد من وجود مادي، كأن يشار إلى الاسم بالأيدي نحو أنك تقول و أنت تشير إلى عصفور ذا جميل. فكلمة ذا تتضمن أمرين معاً المعنى المراد منها و هو جسم العصفور، و الإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه لا ينفصل أحدها عن الآخر فهما متلازمان أبداً.

قد تكون الإشارة معنوية، لاسيما إذا أردنا بيان رفعة شيء ما أو توضيح عظمته كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} {البقرة الآية2 } ، (فذلك) اسم إشارة للبعيد و ليس للكتاب حضور مادي

فتشير إليه جسدياً باليد و لكن حضوره ذهني نفسي ممثلاً في عظمته و علو مكانته و رفعة شأنه، و هذه المعاني لا يمكن الإشارة إليها بالأصبع. و كذلك قول الشاعر:

أو كلما وردت عكاظ قـــبيلة بعثوا إليّ رسولهم يتوسمُ

فتوسّموني إنني أنا ذلكم شاكٌ سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ

و نحو قوله تعالى (إن السمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسئولا)الإسراء(31) .

فهي من الناحية البلاغية بيان الحكم على المسند إليه، الذي يمكن أن تعبّر عنه بما يقتضي تصوره على أي وجه كان)[6](طبانة بدوي–1975).

فقد يكون للتنبيه على أن المشار إليه الموصوف بأوصاف جدير بما يرد بعد اسم الإشارة من مدح أو ذم، فمثال المدح قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون* أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون)–البقرة(3–5).

و من أدوات الربط الاسمية الضميرو هو ما يكنى به عن متكلم أو مخاطب أو غائب فهو قائم مقام ما يكنى به عنه مثل : أنا، أنت، هو)[4](الغلاييني–2006).

و الكناية في اللغة عدم الظهور، فإن الضمائر تشبه الحروف في الافتقار إلى شيء يكمل معناها فلا يتم معناها إلا بانضمامها إلى شيء آخر، و تنقسم من حيث الوضع و مدلوله إلى، ضمائر المتكلم، و المخاطب، و الغائب.

ضمائر الحضور و الغياب		
الحضور		الغياب
متكلم	مخاطب	
أنا	أنت	هو
نحن	أنتِ	هي
	أنتما	هما
	أنتم	هم
	أنتنْ	هن

فالضمائر سواء كانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب , يلاحظ كثرة ألفاظها مع اختصاص كل ضمير بوظيفة معينة، و تنقسم الضمائر بحسب ظهورها في الكلام و عدمه إلى بارزة و مستترة، البارز ما كانت له صورة في اللفظ، بينما المستتر هو ما ليس له صورة في اللفظ فلا يظهر في النطق و الكتابة. فالبارز نحو: (أكلتُ) للمتكلم و (أكلتَ) للمخاطب، و (أكلتِ) للمخاطبة. و مثال المستتر نحو: نُكرِمُ ضيفنا (نحن).

و قد ترد الضمائر متصلة أو منفصلة و الضمير المتصل هو الأصل، متى أمكن اتصال الضمير لا يُعدل إلى انفصاله، و ذلك لاتصال المتصل غالباً نحو: قمتُ و أكرمتُك ، فلا يقال قام أنا، و لا أكرمتُ إياك، لأن التاء أخصر من أنا، و الكاف أخصر من إياك. فلا يصحُ العدول عن الوصل إلى المنفصل إلا لدواعٍ بلاغية و أسباب يجب فيها فصل الضمير و تشمل ضمائر النصب المنفصلة، و ضمائر الرفع المنفصلة، و أشهرها إرادة الحصر إذا وقع الضمير بعد إلاّ أو إنّما.

نحو قوله تعالى: **{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ}{الإسراء الآية23}**.أو تقدم الضمير على عامله نحو قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}{الفاتحة الآية5}. أو أن يكون عامل الضمير معنوياً إذا وقع الضمير مبتدأ نحو: أنا متأدب''.

فالمتصل يقع في آخر الكلمة غالباً سواء كانت الكلمة أسماً أو فعلاً أو حرفاً، و ذلك لأن الضمير معمول و ما اتصل به عامل فالعامل يتقدم المعمول في العرف النحوي، فإذا تقدم تغير الموقع و صحبه تغيير في المعنى، فالعلاقة بين الضمير و عامله علاقة دلالية فالربط بها ممزوج بالمعنى في دقة الدلالة وفق اللفظ الذي تدخل عليه حرفاً كان أو اسماً أو فعلاً.

فإذا أضيفت الضمائر إلى الأسماء فإنها تدل على معنى الملكية على الإطلاق و تبقى صورة الضمير واحدة مع جميع الأسماء وفق نوع الضمير نحو: (غلامي و سوري)، (غلامك و سورك)، (غلامه و سوره).

أما اتصالها بالحروف فالغالب فيها اتصالها بالحروف الناسخة و حروف الجر و علة ذلك أنها تفيد معنى خاص بها يتحد مع معنى الضمير ، و قد لوحظ أن الضمائر لا تتصل بحروف العطف إلا ما ندر كما هو في الفاء العاطفة نحو: فهم، فهو... الخ. لأن حروف العطف بما تحمله من معاني تقوم بوظيفة ربط اللاحق بالسابق أي أنها تدخل ما بعدها في حكم ما قبلها و قد أغنى الضمير عن ذلك.

أكثر الضمائر انتشاراً ضمائر الغياب ذلك أن دلالة ضمائر الغياب الصوتية تبدأ بصوت الهمس و تنتهي إلى الجهر مع تضمن معنى الإشارة في آخر الضمير و ذلك لبعد حضورها المادي عن السامع ما جعل ضمائر الحضور أعرف من الغياب لحضورها الذهني، فضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، و ضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب الذي يحتاج إلى مرجع عائد إليه. فهذه الخصوصية جعلت ضمائر الحضور محصورة في نطاق ضيق حيث لا تمثل إلا ما تدل عليه، بينما ضمائر الغياب بهذا المرجع جعلها أكثر انتشارا في السياق. و المرجع ما كان كلمة واحدة يرجع إليها الضمير و قد يكون صريح و هو المرجع الذي يهتدي إليه كل إنسان فلا يحتاج إلى إعمال فكر و طول نظر نحو قوله تعالى {فأدع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها..}-البقرة(61)، فالضمير الهاء مرجعها كلمة الأرض. و مرجع غير صريح و هو المرجع المفهوم من سياق الكلام يحتاج إلى إعمال فكر و طول نظر. نحو قوله تعالى:{ و إن تنتهوا فهو خير لكم}-الأنفال19.فالضمير هو يعود على الانتهاء المفهوم من الفعل انتهوا.

إن تعدد المراجع و انسجام الضمير معها إظهار لدور الضمير كرابط معنوي يخدم التركيب فضمير الغائب بما يختص به من مرجع يعود عليه جعلت منه أهمية ينفرد بها عن سائر ضمائر الحضور التي ينحصر دورها في التكلم و الاستماع بينما ضمائر الغياب تقوم بدور الحكاية أو الكلام المنقول و المعنى المحمول لذلك تنتشر في ثنايا الكلام و هي أنيسة للسامع و المتكلم، فكل ضمير يصلح لموضع من التركيب فالمتكلم و المخاطب أقرب للأذهان و الحال لذلك تصلح في الربط للهيئة و الحال الماثل. فلو ابتعدت كانت مصدر خلط للمعنى بينما ضمائر الغياب تصلح لربط السياق عامة لبعدها عن الحال و المرجع الذي يعود إليه الضمير.

يتضح من ذكر الموصولات الحرفية و الاسمية أن الموصولات الحرفية كثيرة في اللغة العربية و أنها تقوم بمهمة الربط مع معنى يخصها تضفيه على الجملة أو العبارة بينما الموصول الاسمي فإنه يقوم بمهمة الربط إضافة إلى المعنى الذي هو جزء منه و مكمل له.

دور الروابط في البناء:

قال تعالى: {الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم}. ورد في تفسير الآية كثير من الأقوال فمنهم من قال المقصود الذين جحدوا بآيات الله و أعرضوا عن الإسلام، و منعوا الناس من الدخول في دين الله أبطل أعمالهم) (الصابوني محمد علي–بدون).و في فتح البيان هم كفار قريش و في جامع البيان عن تأويل آي القرآن الذين جحدوا توحيد الله و عبدوا غيره.

اختلف المفسرون في المراد من اسم الموصول {الذين} فجاءت اجتهاداتهم متباينة ذلك أن التعبير باسم الموصول عام الدلالة تتحد دلالته بصلته التي تتمثل في الجملة الفعلية بعده.فجملة الصلة في مقام النكرة و لولا ذلك لامتنع وصفها للمعرفة، مما يدل على أن اسم الموصول فيه شيء من دلالة العموم، و جملة الصلة لها مرونة تتوافق مع أي معنى.

فالبداية باسم الموصول و جملة الصلة توضح المقصود من اسم الموصول، غير أن جملة الصلة لا تدل على ذلك بمعزل عن الضمير الرابط العائد على اسم الموصول، فالضمير رابط أساسي في تحديد المعنى بل أنه يمثل العمود الفقري في الكلام، لأن سياق الكلام يتوقف عليه، مع تنوعه في انتشار دون إحداث لبس أو خلل فهو في كل جملة لها علاقة بالمعنى كجملة الصلة و جملة الخبر و جملة الجواب.فالضمائر المستخدمة هي ضمائر الغائب ، واو الجماعة في الأفعال {صدوا – كفروا} و الضمير (هم) في أعمالهم و عائد هذه الضمائر واحد هو اسم الموصول (الذين).

و هناك ضمير مستتر في الفعل (أضلّ) تقديره (هو) اختلف المفسرون في مرجعه فبعضهم بيّن أنه عائد إلى الله تعالى لفظاً و معنى، أو إلى النبي صلى الله عليه و سلم في المعنى، بأنه أبطل بالنبي العمل الذي يقومون به، و يحتمل أن يرجع إلى العمل نفسه، فلو ذكر (الاسم الظاهر) بعد الفعل (أضلّ) لانتهى تحقيق كل تلك الدلالات و انصرف الذهن إلى كيفية إضلال أعمالهم ، فباستتار الضمير يظل الفاعل المقدر هو (الله) في ذهن السامع مع احتمال مرجعيات أخرى.فإن ضمير الغائب قام بدور الحكاية أو الكلام المنقول و المعنى المحمول. كما أن هناك غرض بلاغي يتمثل في إيجاز و اختصار الكلام الذي يحسُّ معه السامع براحة نفسية. و كذا أن تعدد المراجع إثارة للسامع و جذب انتباهه لفهم المعنى دون خلط .

و ذلك أن الضمير عندما اتصل بالفعل (كفروا– صدوا) دلّ على تجدد المعنى و تكراره و عند استتاره في الفعل (ضلَّ) دل على احتمال أكثر من عائد أو مرجع و باتصاله بالاسم دلّ على (الملكية)، فقد ساعد على تحديد المقصود بالمعرفة في الذهن بمعاونة اسم الموصول– فلو عبر بالمعرفة مباشرة {الكفار} انتفى معنى التجدد و الذي يثير انتباه السامع و زاد من التعقيد اللفظي و المعنوي بتكرار اللفظ و هذه الخاصية تتكرر في آيات لاحقة دون تكرار للمعنى يهرب منه ذهن السامع. فالسامع في حالة من التشوق لمعرفة ما جدّ من معنى يسهل عليه تمييزه و ترتيبه في ذهنه، و كذا في اسم الموصول العام.

غير أن دور الضمير لا يقف عند هذا الحد بل يظهر الضمير نفسه بصيغة الجماعة (اتبعوا أهواءهم) فكأنما يشعر السامع أو المتلقي أن هناك لبس. لكنه يستدرك عندما يجد أن الضمير عائد إلى اسم الموصول. بالنظر إلى معناه فالضمير و اسم الموصول كأدوات ربط اسمية ذات مرونة تسمح بمرور كثير من المعاني. تستخدم بلفظ واحد و لكنها تذهب مع كل المعنى.

قال تعالى: { و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم و أصلح بالهم } فإنه استخدم روابط حرفية يتخللها الرابط الاسمي في نطاق واسع، واو الجماعة في { آمنوا ، عملوا، آمنوا} و الضمير (هم) في { ربهم ، عنهم، سيئاتهم، بالهم} يعود إلى مرجع واحد اسم الموصول (الذين) ثم استخدم الضمير المستتر (هو) في (نزل) مرجعيته إلى اسم الموصول العام (ما) فالملاحظ في الضمير التكرار و التنوع لإحداث نغمة كلامية يأنس لها السامع و تؤدي المعنى دون تعقيد فسّرالانسجام هو التكرار و التنوع. انظر الواو في قوله تعالى: (و هو الحقُ) هو الحقُ مبتدأ و خبر، جملة مقحمة لوصف اسم الموصول (ما) و هو القرآن ربط هذه الجملة الاعتراضية بالواو، فالواو ليست للعطف. {ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل و أن، الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم}(الآية3). في معرض المقارنة بين الفئتين جاء برباط اسمي له من الخصائص المعنوية ما تجعله يتوافق مع الرابط الرئيسي (الضمير) من ناحية و من ناحية أخرى يلفت انتباه و ذهن السامع ليقوم بأداء الربط بوجه كامل و لمرة واحدة في كلمة { كذلك} اسم إشارة بما فيه من إضافات لام البعد و الكاف فالإشارة سبب في تكرار اسم الموصول و صلته { بأن الذين كفروا – بأن الذين آمنوا} لبيان نتائج المقارنة ، فلو استخدم لفظ (الكافرين) و (المؤمنين) محل الموصول و صلته لقصرت الدلالة لافتقارها الحركة و الحيوية و التجدد الناتجة عن جملة الصلة المسندة إلى ضمير الغائب، و واو الجماعة فالصلة تدل على المعنى و التجدد و الضمير يحدد و يعين. و مثله { كذلك يضرب الله للناس أمثالهم} تمهيداً للانتقال بالمخاطب أو السامع من الغيبة إلى الحال و الدخول إليه مباشرة بعد أن أفهمه و فتح العلائق قال تعالى: {فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب...} فقد تنوعت فيه الروابط و تعددت في ثورة متلاحقة.

فالإشارة من المعارف تعيّن و تحدد المقصود بالإشارة الحسية إن كان المشار إليه حاضراً أو بالإشارة المعنوية إن كان المشار إليه معنى أو ذاتاً غير حاضرة . فإنها ترد في القرآن لربط ما تقدم مع ما زيد بعدها أو تعقيب دلالي قابل للإيحاء بأكثر من معنى. فإنها تتوافق و تنسجم مع الضمير للصلة الوثيقة بينهما من حيث المعنى و الاستعمال و قد أشار إلى ذلكد.محمد حسين صبرة (إن ضمير الغائب قد استعمل استعمال اسم الإشارة في القرآن الكريم لما بينهما من صلة من حيث البنية و الاستعمال و المعنى نحو قوله تعالى: {وَآتُوا ٱلْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَتَتَبَدَّلُو ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَتَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً } النساء2 فالضمير في {أنه} عائد إلى الأكل لقربه و يجوز أن يعود إلى التبديل أو عليهما جميعاً {إن ذلك} و ضمير الغائب حينما يستعمل استعمال اسم الإشارة نجد أن المرجع غالباً ما يكون متعدداً) (صبرة محمد حسين –2001) فإن الضمير يختص بأمور لا تتوفر في اسم الإشارة بأنه يتكرر في سياق الكلام و إن الربط به يتخلل جميع مناحي الكلام، أما الإشارة لربط المعنى بالآخر بالإشارة إلى معنى سابق.

و هناك رابط اسمي آخر (إذا) الشرطية تختص بدلالة الزمن المستقبل ما يجعلها مناسبة للمقام فهي أداة ربط لجملة الشرط و الجواب و قد تخللها الضمير بهيئة تلائم الحال، فجاء بضمير الخطاب (لقيتم) إشارة إلى أهل الإيمان فيظهرهم بهيئة مليئة بالحركة و الحيوية.

مفهوم البناء القصصي و دور الضمير :

القصة في اللغة تتبع الأثر و الخبر فهذا المعنى يشير إلى أن هناك مجموعة أحداث متلاحقة متتابعة تنتهي إلى شيء معين أو غاية مرجوّة، ربط بينهما شخص أو شخصان تتداخل علاقتهما في القصة بأشخاص ثانويين.

فمفهوم البناء (كون حوادث القصة و شخصياتها مرتبطة ارتباطا منطقياً يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محدودة) (إسماعيل عز الدين –دار الفكر العربي).

فمثلاً قوله تعالى:{و استبقا الباب و قدت قميصه من دبر و ألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم}–{يوسف35}.نجد أن الأفعال (استبقا، قدّت، ألفيا، قالت) قد كونت في أذهاننا جزيئات الواقعة، أفعال تحدث، و كلام يُقال و مشاهدة تشارك فيها ثلاث شخصيات دون أن يذكرها صراحة، و لكنها مفهومة لدى السامع بفعل الضمائر التي وردت ممزوجة بالأثر النفسي الذي تصوره هذه الأفعال و الذي من شأنه يكسب العمل القصصي الحيوية، و قوة الترابط و التسلسل المنطقي للأحداث.

فمراحل بناء القصة :

أولاً: المقدمة و فيها تعرف الأشياء اللازمة لفهم ما يأتي .

ثانياً: تبدأ الواقعة الأولى و معها تبدأ عملية البناء.

ثالثاً: تأتي الحوادث المفاجئة.

رابعاً: الذروة و هي أشد المواقف تعقيداً في عملية البناء و بعدها تبدأ الأشياء تتضح في مرحلة التنوير فما دور الضمير في ذلك؟

فعند عرض الأحداث و الشخصيات يتبدى دور الضمير بأنواعه المختلفة (غائب، متكلم، مخاطب)، فقد تبدأ القصة في فترة زمنية خاصة من حياة الشخصية في منظر صامت ينفجر فيه اللاشعور ، الذكريات، الأحلام، فيدع الكاتب بطل قصته يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم ليخلق الشعور بالألفة و الثقة.

و قد يكون عرض الأحداث بالسرد المباشر و فيها يقف الكاتب برصد سلوك أشخاصه و يتحدث عنهم بضمير الغائب و قد يكون عرض الأحداث بطريقة الحوار و هو وسيلة التفاعل بين الأحداث و الشخصيات و هو الأداة التي تتواصل عن طريقها الشخصيات لينمو البناء القصصي سواء كان الحوار بين الشخصيات مع بعضها البعض في الموقف أو حوار الشخص في نفسه و أداة ذلك ضمير المخاطب و المتكلم و يعينهما ضمير الغائب من خلف المشهد .

و الأغراض و المقاصد تتجدد و توجه أسلوب العرض فقد يكون الغرض تثبيت قلب النبي و عند ذلك تسلط الأضواء على عنصر الشخصية و تظهر ذلك في قصة يوسف نجد أن الأحداث من بدايتها إلى

نهايتها تتركز حول شخصية (يوسف عليه السلام) و شخصيات أخرى . و عند إقامة الحجة تبرز خصيصة الحوار.

قال تعالى: {فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون* قالوا و أقبلوا عليهم ماذا تفقدون* قالوا نفقد صواع الملك و لمن جاء به حمل بعير و أنا به زعم}–يوسف(70–72). فالشخصية الرئيسية هي المحور الرابط في القصة فنجد القرآن يذكرها صراحة ثم يستعين بالضمير في التعريف بالشخصيات الأخرى الثانوية و خاصة ضمير الغائب لدفع الأحداث و نموها ثم يعقبه الحوار و يستخدم فيه ضمير المتكلم و المخاطب لينتقل بنا إلى الأحداث التي من خلالها تنمو الشخصيات و تكتمل صورتها و هيئتها للمستمع في صورة بديعة دون ذكر اسم ظاهر.

عند بيان الشخصية يسند لفظ القول بصيغة الماضي إلى اسم ظاهر معرفة أو نكرة ثم يعقبه ضمير للغائب مضاف إلى اسم يمثل شخصية جديدة تظهر للعيان لأول مرة، يحدد ملامحها الضمير ثم تتوالى الضمائر بين مخاطب و متكلم لتنمو الأحداث بعدها، {إذ قال يوسف لأبيه..}، {إذ قال يوسف لأخيه..}.

إن الروابط الأخرى تكاد تختفي في ثنايا الكلام بأثر ضعيف محدود. لا يظهر منها إلا لمّا الشرطية لملء الفجوات بين الأمكنة و الأزمنة و ذلك لمّا تحمله من خصائص بكونها رابطة لجملتين جملة الشرط و جملة الجواب، إذ يكون الثاني منهما مترتب على الأول و مسبب عنه، مستعينا بلفظ القول المسند إلى ضمير الغائب (قالوا–قال) تمهيداً لإظهار الشخصية لدى السامع و ثباتها في ذهنه ثم تتوالى بعدها الأحداث على نسق محكم لا انقطاع فيه قوامه الشخصية و الضمير في الربط فالأحداث تبدأ و تتطور إلى ذروتها ثم الانفراج ثم تبدأ أخرى لتنتهي إلى نهاية القصة.

قال تعالى: {و قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين}–يوسف(54).

قال تعالى: {اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ صِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُم أَجْمَعِينَ{93} وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ{94}}

من الملاحظ في بروز أسلوب الحوار لما له من خصائص إقامة الحجة بالإقناع، و إتاحة الحرية للمحاور في استخدام منطقه العقلي، فهو أداة بناء نفسي داخل شخصيات القصة و خارجها ممثلة في المشاهدين و المستمعين، فالأحداث مركزة على بناء شخصية يوسف فكل حدث فيها يبدأ و ينمو و يتطور حتى ذروته ثم تكون الأزمة و الانفراج، فنحس معها أن هذه الأحداث لا رابط لها لكننا حين نستشعر تنامي شخصية يوسف نفسياً و عقلياً تجتمع إلينا خيوط القصة بكاملها.

النتائج و التوصيات

إن التعبير باسم الموصول ذلك لأنه يدل على معنى معين بواسطة جملة بعده تسمى جملة صلة الموصول، إن تكراره يزيد الكلام تنغيماً يأنس له السامع لأن اللفظ واحد و المعنى مختلف بجملة الصلة ، و يظل الضمير هو الرابط الأصيل للمعنى، و المعين لاسم الموصول في التعبير عن أي معنى و إذا أراد تعقيباً أو تفسيراً للمعنى استعان برباط آخر هو اسم الإشارة (أولئك–ذلك).

أن الربط بالإشارة محدود و يرد لمرة أو مرتين في السياق بينما الربط باسم الموصول (الذين) اسم الموصول يتكرر بصلته عند إضافة معنى من المعاني غير أن الضمير يظل القاسم المشترك يتكرر في كل

حين بمرجعيته هي واحدة من الموصولات السابقة و بصورة واحدة دون إحداث اشتراك لفظي و خلط في المعنى.

و إذا نظرنا إليها باعتبار أنها معارف نجد ثلاثتها لا يتم التعريف بها إلا عبر وسيط فالإشارة بوسيط الإشارة الحسية أو المعنوية. أمّا الموصول فبوسيط لفظي (جملة الصلة) ، أما ضمير الغائب فبواسطة مرجع سابق له فهذه الوسائط لعلها ما جعلت هذه الروابط تتميز عن غيرها، فهي متشابهة في الوظيفة و العمل، لذلك صلحت للتعبير عن الحقول الدلالية الطويلة و القصيرة فقد يظهر الضمير و اسم الموصول أدوات ربط لجمل قصيرة مربوطة بالسياق العام ربطاً معنوياٍ سببياً.

و من خلال مما سبق توصلت إلى النتائج التالية :

1) إنّ الضمائر تتداخل في سياق الكلام بمرجعيات مختلفة بصور متباينة دون أن تحدث خللاً معنويا أو تنافراً في اللفظ يأنس له السامع .
2) إن التعبير بالضمير بمعونة اسم الإشارة و الموصول يخرج بالكلام عن إطار الزمان و المكان و جعله عاماً مناسباً و متوافقاً لكل المواقف. لذلك يتدرب النشء على تكوين جمل قصيرة تستخدم فيها أدوات الربط بشكل عملي لأنها الأكثر انتشاراً في الكلام و بذلك يمكن السيطرة عليها ليسهل الكلام و يبين معناه.
3) أن الضميرَ الرابطُ الوحيدُ الذي يقوم بتصوير الشخصية وتحديد ملامحها.
4) إنّ الضمير من الروابط الاسمية يتميز بصفة التكرار والتنوع لإحداث نغمة صوتية تأنس لها أذن السامع دون خلل في المعنى أو تعقيد اللفظ.
5) إنّ أكثر الروابط الاسمية وروداً هي الضمائر و أسماء الموصول غير أننا لانحس بتكرارها لأن الموصول يختلف معناه باختلاف جملة الصلة و كذاالضمير العائد يختلف باختلاف جملة الصلة. فالعلاقة بينهما علاقة معنى وربط، يؤديان المعنى بمرونة تتوافق مع أي موقف فالربط بها ربط بروح المعنى.

التوصيات :

1.القصة القرآنية من الأساليب والطرق المتفردة في مخاطبة النفس البشرية والتأثير فيها ، فالنفس تسترسل معها في راحة شعورية تامة متتبعة كل صغيرة وكبيرة من معنى ، ويظل أثرها على الذاكرة .لذا نوصى أن تكون وسيلة لتوصيل المعرفة والمادة العلمية .

2. إن التكرار ينطبع أثره داخل نفس الإنسان، التي ينبع منها أفعال الإنسان ودوافعه . فتكرار القول لايقل تأثيرا في إثارة الانفعال وتكوين العاطفة و شحذ الذهن لذلك نوصي أن تكون دراسة القواعد النحوية من خلال تحليل النص سواء كان نصا قصصيا أومجردا.

3. أن طريقة العرض في قصة يوسف ذات طابع حركي في أحداثه حيث نرى الأحداث تتلاحق واحدة تلو الأخرى بتسلسل . فهي ذات إثارة من نوع خاص يجعل القارئ في حالة توتر دائم ينجذب معه نحو نصرة الحق ، فإنه موضوع يصلح للبحث

المراجـــــــع

القران الكريم.

1/ حماسة عبد اللطيف محمد ، النحو و الدلالة، مدخل لدراسة النحو الدلالي، ط الثانية2005م، دار غريب، القاهرة، ص:8.

2/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط الثانية، دار القلم للتراث – الهرم، ص:139،66.

3/ بن عقيل بهاء الدين عبد الله، شرح بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2 منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان – ط الثانية، ص: 272.

4/ الشيخ مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ضبط وتخريج د/عبدالمنعم خليل ابراهيم ، ط7 ، ج1 ، 2006م–1427ه دار الكتب العليمة ، بيروت ، لبنان، ص: 88، .

5/ مجموعة مؤلفين(د/ محمد مصطفى رضوان، د/ محمد السوفي، د/ عبد الله درويش)، التمهيد في النحو و الصرف، منشورات جامعة قاريونس– بنغازي، 1972م، ص:159.

6/ طبانة بدوي، معجم البلاغة العربية، مج2 ط1 ، 1975م، منشورات جامعة قاريونس، ص:529.

7/ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ط التاسعة، دار الصابوني، القاهرة، ص:206.

8/صبرة محمد حسين، مرجع الضمير في القرآن، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة، 2001، ص: 13–14.

9/ عز الدين إسماعيل ، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، القاهرة– مصر، ص: 112.